عِنَايَةُ السَّلَفِ بِشُهُودِ صَلاَةِ الفَجْرِ

مِنْ أَجْلِ كُلِّ ذَلِكَ اعْتَنَى سَلَفُنَا الصَّالِحُ بِالمُوَاظَبَةِ عَلَى شُهُودِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ وَبِصَفَةٍ خَاصَّةٍ صَلاَةِ الفَجْرِ الَّتِي حَظِيَتْ مِنْهُمْ بِكَبِيرِ الاهْتِمَامِ، وَذَلِكَ لِنَيْلِ ثَوَابِهَا الجَزِيلِ، وَمِنْ مَظَاهِرِ اهْتِمَامِهِمْ بَدَتْ هَذِهِ الصُّوَرُ المُشْرِقَةُ:

فَعَنْ عَنْبَسَةَ بْنِ الأَزْهَرِ قَالَ[1] تَزَوَّجَ **الحَارِثُ بْنُ حَسَّانٍ** ﷺ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٍ.. فَقِيلَ لَهُ: أَتَخْرُجُ وَإِنَّمَا بَنَيْتَ بِأَهْلِكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟ **قَالَ**: "وَاللهِ! إِنَّ امْرَأَةً تَمْنَعُنِي مِنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ فِي جُمَعٍ لامْرَأَةُ سُوءٍ".

وَعَنْ **أَبِي الدَّرْدَاءِ** ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ[2]: "أَلاَ احْمِلُونِي"، فَحَمَلُوه. فَأَخْرَجُوهُ، فَقَالَ: "اسْمَعُوا، وَبَلِّغُوا مَنْ خَلْفَكُمْ: حَافِظُوا عَلَى هَاتَيْنِ الصَّلاَتَيْنِ: العِشَاءِ وَالصُّبْحِ. وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى مَرَافِقِكُمْ وَرُكَبِكُمْ".

وَعَنْ **سَعِيدِ بْنِ المُسَيّبِ** أَنَّه اشْتَكَى عَيْنَهُ، فَقَالُوا لَهُ:[3] لَوْ خَرَجْتَ – يَا أَبَا مُحَمَّدٍ – إِلَى العَقِيقِ، فَنَظَرْتَ إِلَى الخُضْرَةِ، لَوَجَدتَّ لِذَلِكَ خِفَّةً. قَالَ: "فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِشُهُودِ العَتْمَةِ وَالصُّبْحِ؟" يَعْنِي أَنَّه لاَ يَتَحَمَّلُ فَوَاتَ أَجْرِ صَلاَتَيِّ العِشَاءِ وَالفَجْرِ فِي جَمَاعَةٍ حَتَّى وَلَوْ مِنْ أَجْلِ عَيْنَيْهِ!

وَقَدْ كَانَ **أَئِمَّةُ المُسْلِمِينَ** مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حِرْصًا عَلَى شُهُودِ رَعِيَّتِهِمْ صَلاَةَ

---

(١) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ؛ كَمَا فِي "المجْمَع" (٢/ ٤١)، قَالَ الهَيْثَمِيُّ: "وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ".

(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١/ ٣٦٧).

(٣) "الطَّبَقَاتُ الكُبْرَى" لابْنِ سَعْدٍ (٥/ ١٣٢).

الفَجْرِ، فَهَذَا **عُمَرُ** ﷺ يَفْقِدُ رَجُلاً فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَجَاءَ، **فَقَالَ**[١]: "أَيْنَ كُنْتَ؟" فَقَالَ: كُنْتُ مَرِيضًا، وَلَوْلاَ أَنَّ رَسُولَكَ أَتَانِي لَمَا خَرَجْتُ. فَقَالَ **عُمَرُ**: "فَإِنْ كُنْتَ خَارِجًا إِلَى أَحَدٍ فَاخْرُجْ لِلصَّلاَةِ".

وَكَانَ **عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** ﷺ يُوْقِظُ النَّاسَ بِنَفْسِهِ لِصَلاَةِ الفَجْرِ، فَكَانَ ﷺ يَمُرُّ فِي الطَّرِيقِ مُنَادِيًا:[٢] "أَيُّهَا النَّاسُ! الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ".

وَلِذَا، كَانَ فِي الأُمَّةِ أَمْثِلَةٌ تُحْتَذَى: فَهَذَا **أَبُو الأَشْعَثِ رَبِيعَةُ بْنُ يَزِيدٍ** – وَكَانَ مَوْلَى لأَبِي سُفْيَان بْنِ حَرْبٍ – قَالَ:[٣] "مَا أَذَّنَ المؤَذِّنُ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ إِلاَّ وَأَنَا فِي المسْجِدِ إِلاَّ أَنْ أَكُونَ مَرِيضًا أَوْ مُسَافِرًا".

وَقَدْ دَعَا **عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ** ﷺ[٤] لِنَفْسِهِ قَائِلاً: "اللَّهُمَّ! اجْعَلْ خَاتِمَةَ عَمَلِي صَلاَةَ الصُّبْحِ"، فَلَمَّا طَلَعَ الفَجْرُ مِنْ يَوْمِ وَفَاتِهِ تَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ، فَقَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الأُوْلَى بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ وَالعَادِيَاتِ وَالثَّانِيَةِ بِأُمِّ القُرْآنِ وَسُوْرَةٍ، ثُمَّ سَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيُسَلِّمَ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَبَضَ اللهُ رُوْحَهُ[٥].

---

(١) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١/ ٣٧٩).

(٢) "الطَّبَقَاتُ الكُبْرَى" لابْنِ سَعْدٍ (٣/ ٣٦، ٣٧).

(٣) نَقْلاً مِنْ "أَهَمِّيَّة صَلاَةِ الجَمَاعَة" لِفَضْلِ إِلَهِي (ص ٧٥).

(٤) مِن أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَخُو عُثْمَانَ بْنِ عَفَّان ﷺ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَقَدْ تَوَلَّى إِمْرَةَ مِصْرَ سَنَةَ (٢٥هـ) خَلَفًا لأَمِيرِهَا عَمْرِو بْنِ العَاصِ، وَهُوَ فَاتِحُ إِفْرِيقِيَةَ.

(٥) "مَعَالِم الإِيْمَان" لِلدَّبَاغِ (١/ ١١٢)، وَانْظُرْ "صَلاَح الأُمَّةِ فِي عُلُو الهِمَّة" لأَخِينَا سَيِّدِ العَفَّانِي (٤/ ٣١).

وَزُرَارَةُ بْنُ أَوْفَى أَمَّهُمْ فِي الفَجْرِ فِي مَسْجِدِ بَنِي قُشَيْر.... فَخَرّ مَيِّتًا. قَالَ بَهْزٌ: فَكُنْتُ فِيمَنْ حَمَلَهُ[١].

وَالأَمْثَلَةُ فِي مُوَاظَبَةِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ عَلَى صَلاَةِ الجَمَاعَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ[٢]، وَلَعَلَّ فِيمَا ذَكَرْنَا كِفَايَةٌ لِحَثِّ الهِمَمِ عَلَى المُوَاظَبَةِ عَلَى صَلاَةِ الجَمَاعَةِ وَخَاصَّةً صَلاَةَ الفَجْرِ!

فَإِلَى صَلاَةَ الفَجْرِ؛ يَا عِبَادَ اللهِ!

* * * * *

(١) رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ (٧/ ١٥٠)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الحِلْيَةِ (٢/ ٢٥٨)، وَانْظُرْ "تَهْذِيب الكَمَال" (٩/ ٣٤١)، وَ"قَضَايَا مَنْهَجِيَّة وَدَعَوِيَّة" د. عَبْد الرَّحْمَنِ بْن صَالِحٍ المَحْمُود (ص ١٧).

(٢) رَاجِعْ: "أَهَمِّيَة صَلاَةِ الجَمَاعَة"، لِفَضْلِ إِلَهِي.

obeikandl.com